# النافذة العاشقة ايقاظ لأنوثة نائمة*

بقلم: محسن حسين عناد/ العراق

الحياة بمشاكلها وبما تطرحه من قضايا واحداث هي المصدر الرئيس لكل فعالية ادبية سواء أكانت الفعالية فردية ام اجتماعية. فكلما كانت الفعالية قادرة على التعبير وبأسلوب فني جميل كانت قدرتها على التألق والبقاء اقوى واشمل.

فالمجموعة القصصية (قافلة العطش) للكاتبة الاردنية الدكتورة سناء شعلان اشتملت على ست عشرة قصة توزعت احداثها على مساحة الحياة بأراء وافكار متباينة ومتشعبة كل قصة منها تحمل هماً ووجهة نظر وقضية على وفق لغة شفافة وبليغة.

كان لوعي المؤلفة سناء شعلان وادراكها لاهمية ادواتها الفنية الدور الكبير في انجاح المجموعة الامر الذي جعلها تتدفق القاً ودربة ودراية مما شكل ذلك تناسقاً اخضع الشخوص والاحداث لرقابة فنية وتجربة ادبية ناجحة. فقصة (النافذة العاشقة) من هذه المجموعة تعد من القصص المميزة التي عالجت قضية اجتماعية مهمة تروي احداث امرأة متزوجة وام لاولاد ثلاثة كاد كبيرهم يدلف الى سن الشباب. تعيش مع زوجها واولادها بدعة وهدوء بعيدة عن المشكلات. انها تكرر مع نفسها لا اريد اكثر من ذلك. قناعتها هذه دفعتها لنسيان كثير من الاهتمام بجسدها وزينتها وبالتالي أنوثتها بعدما ادركت قساوة عمرها وانشغال زوجها عنها بالعمل وهمومه.

تشاء المصادفة ان يجاورها شاب نافذته تقابل نافذتها ومن هذه النافذة تقودنا المؤلفة لصلب موضوعها واحداثه. لقد فتحت هذه النافذة طاقة صغيرة على انوثتها النائمة التي كادت تنسى. ان مراقبته لها والنظر والوقوف امامها فترة طويلة دفعتها لانكاره وتجاهله (في البداية كرهت نظراته الفضولية وانزراعه في كرسي بلاستيكي بليد في حديقته لساعات يراقبها دون ان يفوت لحظة). ان الاكثار من الانتظار زرع في نفسها الانتباه لحالها والاهتمام بمظهرها وزينتها. لقد وجدت نفسها تفكر فيه وتنتظره وضمن تداخل حدثي لطيف توضحت الصورة جميلة ممزوجة بتدفق لغوي وهاج فيه الكثير من المفاجأت التي تدفع المتعة والتتبع بحيث اضافت مفرداتها نسقاً درامياً ذا مدلول حسي منضبط يقع تحت تسلسل منطقي خلق تؤتراً جميلاً وجواً فنياً دعم ثيمة القصة وتصاعدها. لقد رسمت المؤلفة لنفسها طريقاً خاصاً في التعبير والتناول. فنجدها لا تعبأ بالعالم الخارجي وما يجري على سطحه من احداث ومشاكل ولا تنزع لوصفه حرفياً بل تستعيض عن ذلك بالرؤية الداخلية التي تستوحي من خلال تكويناتها الفنية والخيالية تلك الرؤية التي تعبر عن الخزين المتراكم من المؤثرات المادية والنفسية والاجتماعية التي تأخذها من مجرى التجارب الخاصة التي تعانيها او من تجارب الحياة العامة مما وضع القصة في

مسار ابعدها عن الطريقة التقليدية في التعامل الحدثي وهذا يؤكد حقيقة ان المؤلفة اوجدت لها منهجاً كتابياً مميزاً يخضع لسياقات وصور قريبة من افكارها ورؤاها لا المعاناة في تحضير الحدث لا يكون سهل المعايشة ولا يمكن صياغته بفنية عالية ما لم يكن هناك منهج صادق تستعيره في تصوير وخلق المشاهد والشخوص بعيداً عن التقليدية في الكتابة وهذا ما لمسته في قصة النافذة العاشقة والقصص الاخرى. هذا النجاح يحتاج الى تضامن مبدئي واخلاقي يعزز التجربة ويبعدها عن الترهل او الارسترسال الذي يكون وبالاً يعيب نسغ القصة. فالاحساس بشعور الشخصية وتنفس الحدث حالة صحية تنبض بصدق التجربة المكملة للسياق العام الذي لم يترك فراغاً يتسلل خلاله الملل مما يدعم انفعالية المؤلفة وتضامنها مع شخوصها الذين يشكلون الاساس في البناء الفني للقصة.

ان قوة اللغة وجمالها صارت عنصراً مهيمناً على الفعل والحركة. فأفرز هدوءاً وجمالاً على مجرى الاحداث مما ولد ايضاً ظهوراً واضحاً للمكان. كونه احساساً ينبع من احساس المؤلفة وعملها. فالمكان في القصة مساحة الحدث كله الذي شكل مع الحركة جمالية اللغة ودلالاتها بالرغم من بعض الاستطرادات البسيطة التي افرزها الحدث نفسه. فصدق التصوير يرسم صورة دقيقة لخبرة المؤلفة في ان كتابة اية قصة تعني اعادة لتشكيل العالم وتفسيره وتجديد الرؤية ورسم المجرى للحرية والانطلاق. لان القصة بحث فني عن معنى الحياة وسعي حثيث للامساك باللحظة المتعلقة وايقاف الذكريات والصور الهاربة وتخليدها لكي نفتح للخيال نوافذ جديدة تنتج عوالم وتشيع مثلاً وقيماً جديدة. فالمرأة التي غيبتها شؤون البيت والاطفال غابت معها انوثتها بحيث اصبحت رقماً يؤدي طقوساً وممارسات مفروضة عليها. هذه الممارسات كانت سبباً بأفشال احلامها وتمنياتها بالوصول اليه والتقرب منه حينما صدمها اختفاؤه المفاجئ.

لقد هجر النافذة وغادر بيته للعمل في بلد اخر. هذه الكدمات غير المتوقعة ثلمت واحدثت نكوصاً عاطفياً قاسياً جعلها تعيش ذكراه بألم وحسرة. بعدما منت نفسها بشم اريجه الذي تحمله الريح من النافذة فتسمع من خلالها كلماته التي لم يقلها. هذا الاحساس هو اكتشاف للذات ضمن اجواء غائمة صورته القصة وركزت عليه (كانت سعيدة. سعيدة جداً. هكذا كانت تصف نفسها لنفسها التي كانت تعجب منها عندما تتكوم بلا حيلة على بلاط المطبخ الى اسفل نافذتها العاشقة وتنتحب بحرقة).

لقد ارادت الكاتبة سناء شعلان ومن خلال هذه الشخصية مهاجمة المفاهيم الخاطئة التي لا يسمح المجتمع بالبوح بها او تناولها نتيجة الكبت والانغلاق الاجتماعي المفروض من العادات والتقاليد. وهذا اعده تفجيراً لرتابة الحياة لذلك تفصيل الحدث اهم من تفسيره لان

**التلاعب بالمواقف والاشياء يستثير تجربة جديدة واسئلة كثيرة متشعبة تحرك الذاكرة وترسم حالة جريئة توضح او تؤشر علاقة تحدت بها امرأة متزوجة اعرافاً وتقاليد ليس من السهولة تخطيها او مناقشتها. لكن الاشارة اليها فنياً تعني المشاركة في توضيح حقيقة واسباب كان لها تأثير مباشر في وجودها واعني الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن عوامل اخرى منها العلاقة النفاقية بين الزوجين والتي صارت سبباً رئيساً في تأزمها العاطفي الذي افرز حالات غريبة يرفضها المجتمع. لذلك انتبهت المؤلفة للحدث ولكي يبقى في حيويته ومعناه جعلت العلاقة بينهما بعد مغادرته منزله راكدة من دون الخوض في تبيان الدواخل والمسببات مما افقد الحدث شيئاً من الحركة. كان بالمؤلفة وفي موقف كهذا ان تمهد او تشير حتى تكون لدينا مسوغات نتقبل بها الحدث بعيداً عن المصادفة التي تفقد الحدث حرارته. لكن الجانب السايكولوجي للموقف كان هو الطاغي مما شكل بروزه واستيقاظه تأجيجاً للأزمة العاطفية بحيث بقيت الازمة ملازمة للشخصية حتى بعد مغادرة الشاب منزله ولجوئه للمجهول. مما فسح للفعل والحركة من بناء مساحة فكرية خضعت لتوازن وتبرير مقبولين دعما الجانب الفني في القصة وكشفا مخزون الذات وما يعتمل به بعد سبات طويل لماض مجهول من حياتها. فالحلم الذي عاشته معه اياماً هو ايذان بالانتهاء او التخلص من ذلك الماضي الذي لم يزرع بداخلها سوى القهر.**

---

* سناء شعلان: قافلة العطش،ط1، بدعم من أمانة عمان الكبرى، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006